العرب
السبت 2021/04/03
السنة 43 العدد 12019

احتفاء فردوسي بالطبيعة والوجود الإنساني المرتبك

اللبنانية هدى بعلبكي تتشبّث بأرض «الآن» بطلائع من اللون الكثيف

إن كان من المُمكن أن نختصر فنانا تشكيليا مّا بصفة أو تعبير واحد فيمكننا أن نختصر الفنانة التشكيلية اللبنانية هدى بعلبكي. فهي من مواليد البقاع اللبناني الأخضر، وبكلمة واحدة هي: الغزيرة. غزيرة لناحية فيض اللوحات التي لم تزل أجواؤها تنهمر علينا كالمطر الربيعي، أو لنقل كالمطر "النيساني" الذي قيل عنه إنه "يُحيي الإنسان"، وغزيرة لناحية المعاني والإحالات التي تأخذنا إليها لوحاتها وبرفق لافت.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

عندما ينشر الناس على صفحاتهم الفيسبوكية صورا فوتوغرافية، كثيرا ما تكون مُعدّلة ديجيتاليا، لتبدو ألوانها أكثر توهجا، وتأتي مكتوب عليها تعابير مثل "صباح الخير" أو "مساء النور" وما إلى ذلك من ألفاظ مرحّبة، غالبا ما نشعر بسخافتها لأنها صور مُكرّرة وعامة، ومنها الملايين من النسخ الرديئة. لكن هذا لا ينطبق على ما تثابر على وضعه على صفحتها الفنانة اللبنانية هدى بعلبكي، بل يكتسب معان مُختلفة.

صباحات خاصة

ليست بعلبكي كتابا مفتوحا تباعا لعدد كبير من الفنانين الذين يتّخذون من رسم الطبيعة سبيلهم في التعبير الفني. ولكن صفحتها الفيسبوكية تستطيع أن تُعلم مُتابعيها الكثير عن الفنانة وعن مقام الطبيعة عندها بأشكالها وفصولها.

> أعمال هدى بعلبكي الفنية لا تهجس بالطبيعة بقدر ما تعبّر عن إمكانية حلول «مفهوم» الطبيعة في كل ما نعيش ونختبر

تستطيع ذلك صور الطبيعة الفوتوغرافية "العامة والمُكرّرة"، و"التصبيحات" شبه اليومية التي ترفقها بها كما يفعل العديد من الناس. ولكن يأتي الاختلاف بنظرتنا بشأن هذه الصور الفوتوغرافية العادية أن الفنانة تنشر إضافة إليها، صورا عن أعمالها الفنية التي لا تهجس بالطبيعة بقدر ما تعبّر عن إمكانية حلول "مفهوم" الطبيعة في كل ما نعيش ونختبر ونترك خلفنا ممنونين أو آسفين.

وتضيف بعلبكي إلى هذه الصور العامة، صورها الفوتوغرافية الخاصة التي توثّق زياراتها المُتكرّرة إلى الطبيعة، مع صور لأعمال فنانين آخرين عرب وأجانب مأخوذين بالطبيعة تنشرها من وقت إلى آخر على صفحتها وفيديوهات قصيرة عن مرسمها القابع في قلب الطبيعة، وأخرى عن مشاهد رأت غموضها فتركت في نفسها أثرا كبيرا.

بوابة غليظة

تفضي كل تلك البصريات على صفحتها، كنهر دافق إلى بحر واحد، إلى عالمها المُتكامل الذي يرفده ويحوّره ويغذّيه كل ما ذكرنا سابقا. عالم يذكرنا بنبات إكليل الجبل المتوحش ذي العطر النافذ وأزهاره البنفسجية التي لا علاقة للونها بالنوستالجيا وهروب الأشياء.

والتشبّث بـ"أرض "الآن" هو حالة مُستمرة في لوحات الفنانة اللبنانية، لأنها لا ترثي الماضي بل تراه جزءا لا يتجزأ من حاضر الطبيعة المُحمّلة بالعديد من الأبعاد الجمالية والحسية.

معظم اللوحات التي أنتجتها بعلبكي ليست بمشاهد طبيعية بالمعنى السطحي للتعبير. صحيح أنك ترى أشجارا وأزهارا وعشبا وتلالا ولكن حين تطيل النظر فيها تجعلك تتبنى طريقة غير تقليدية في النظر إلى الطبيعة، ولاسيما في أعمالها الجديدة التي نشرتها على صفحتها الفيسبوكية، ولم يتسن لها بعد أن تعرضها في معرض مُتكامل بسبب ظروف الإقفال والحجر، ومنها معرض يُفترض أن تقيمه في الولايات المتحدة، وينطبق الأمر أيضا على أغلبية أعمالها السابقة التي قدّمتها بداية من سنة 2016.

أما هذا العالم الذي أنشأته منذ هذا التاريخ، فقد سبقته مرحلة فنية آثرت فيها الفنانة النزعة التجريدية في تصوير الطبيعة.

ولعل أهمية هذه المرحلة بالنسبة إلى تطوّر فنها، هو أنها كانت بمثابة بوابة "غليظة" شيّدتها الفنانة بطبقات لونية متعدّدة من مادة الأكريليك مع استخدام مواد أخرى كأسلاك معدنية بثّت عروقها في اللوحات.

ويمكن القول إن هذه البوابة فُتحت عميقا وواسعا على حد السواء حتى اختفت بشكل شبه كلي، لتنبري منذ العام 2016 وإلى اليوم تتوضّح فيها الرؤى وتتأطّر الأشكال دون أن تخسر شيئا من غموضها الذي هو تحديدا "روح الطبيعة" وما كرّسته واقعا عميقا في قلب الفنانة، لا يبدو أنها، ولحسن الحظ، لا قادرة ولا راغبة في التخلي عنه.

ولكن هذا لا يعني بأن الفنانة تخلّت عن تلك "البوابة الغليظة" التي تشي أحيانا بأبعاد لوحاتها الجديدة، ولكنها ابتكرت آلية فنية جعلتها تشفّ دون أن تخرج عن كثافتها الغليظة.

ودخل العنصر البشري بقوة إلى لوحاتها ليكون وكأنه مولود من مادة الطبيعة عينها. نساء بعضهنّ يشبهنا ورجال حضروا كثيرا بشخصية مُهرج لا هو راغب في التهريج ولا قادر عليه أيضا. ففي ملامحه المأساوية الكثير من القهر البشري والكثير من "دعني وشأني"، إذا صحّ التعبير، وفي هيئة ملونة ورقيقة تدفع الناظر إليه إلى أن يبتسم.

ودخل أيضا إلى عالمها الهمّ البيئي والمجتمعي، حيث رسمت الفنانة في لوحاتها الجديدة خيم السوريين الذين غادروا قسرا وقهرا بلادهم، وتظهر في خلفية الخيم المنصوبة مشاهد لقرى لبنانية بعيدة لا تقلّ تلوينا عن الخيم، وهي كأنها صدى بصريّا للبيوت والأشجار التي اضطر شعب شبه كامل على تركه ورائه.

ولدت هدى بعلبكي في بيروت سنة 1968، تخصّصت في الرسم من معهد الفنون الجميلة في الجامعة اللبنانية، عرضت منفردة في عام 2005 في بيروت وفي الإمارات في العام 2008 وفي الصين في العام 2010.

ولها العديد من المشاركات في المعارض الجماعية منها: معرض الحركة الثقافية أنطلياس 1994، وفي المركز الثقافي لجنوب لبنان 1998، وفي إهدن كونتري كلوب 2000 و2001، وفي النادي الثقافي العربي في بيروت 2001، وفي غاليري "ألوان" منذ العام 2002.

وشاركت في بينالي إيران في طهران، وفي قصر اليونسكو في بيروت، وفي معرض بلدية بيروت في العام 2002، ومعرض جامعة سيدة اللويزة 2004.

وهي حائزة على جائزة متخرجي مؤسسة الحريري 2002 و2003، ولها خمسة معارض فردية حتى الآن، آخرها كان في صالة "ألوان" لصاحبتها أوديل مظلوم العريقة في عالم الفن والتي اضطرت أن تقفل نهائيا أبواب صالتها بسب حجم الدمار الذي طالها إثر انفجار بيروت في أغسطس 2020.

قصائد لونية تنبض بالتوق إلى التحرر

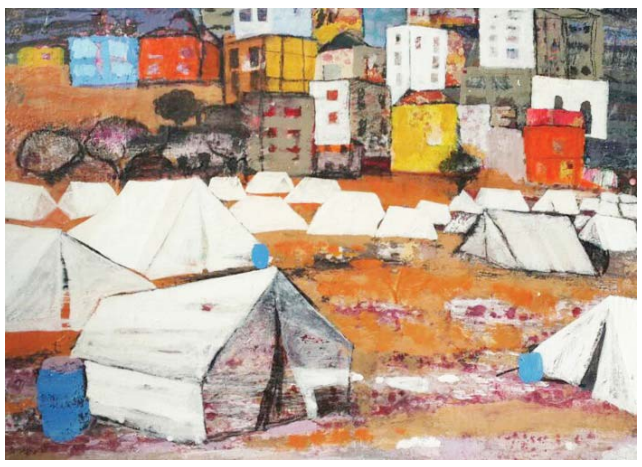

حضور للهمّ البيئي والمجتمعي في لوحات تسرد الراهن العربي

ألوان كثيفة تشي بإرباكات عميقة

المصري محمد عبلة يستعيد أسطورة سيزيف بمجسمات حداثية

"النحت وسنينه" هو عنوان المعرض النحتي الثالث في مسيرة الفنان المصري محمد عبلة، والذي تتواصل فعالياته حتى الخامس عشر من مايو القادم بغاليري "أكسيز للفن" بالعاصمة المصرية القاهرة ويضمّ المعرض ثمانين منحوتة نفّذها خلال السنوات الثلاث الأخيرة باستخدام خامة البرونز.

القاهرة – في ثالث معارضه النحتية بعد "برة الكادر" (خارج الإطار) (2018) و"لعب بالنار" (2019)، يواصل الفنان المصري المخضرم محمد عبلة تجربته النحتية الحادثة في مساره الفني.

فبعد مشواره الطويل في الرسم والحفر لأكثر من أربعة عقود قضاها في التجريب المستمر، ارتأى عبلة بعد بلوغه سن الستين تغيير نهجه الفني ليقتحم مجال النحت. وما معرضه الجديد المعنون بـ"النحت وسنينه" (النحت وسنواته) والمقام حاليا بغاليري "أكسيز للفن" بالقاهرة إلاّ تتمة لهذا التوجّه الجديد من الفنان الذي يقدّم فيه ثمانين منحوتة منفّذة على خامة البرونز.

ويعترف عبلة بصعوبة هذا الاختيار، قائلا "كنت أبحث عن وسيلة وتقنية أستطيع أن أنقل بها مشاعري الفنية دون تقيّد بمراحل النحت الطويلة، واستطعت أن أبتكر وسيلة أنقل بها الرسم إلى النحت مباشرة، دون المرور بخطوات الصبّ والقالب التقليدية، وهكذا استطعت الاحتفاظ بحيوية رسومي عند انتقالها إلى منحوتات، والحفاظ على القيم التصويرية التي أريد أن أنقلها دون أن أفقد إحساسي الخاص". وهو في ذلك يعمل على تقديم شيء جديد ومختلف في النحت، لذلك لا بد من التفكير في إضافة شيء جديد ومختلف".

ويستند عبلة إلى تخصّصه الأكاديمي وممارسته المتأخرة لفن النحت، وهو الذي درس النحت في كلية الفنون والصناعات بمدينة زيورخ السويسرية عام 1981، بعد تخرّجه من كلية الفنون الجميلة في الإسكندرية سنة 1977، وصمّم تمثالا يعكس أسطورة سيزيف، حيث لا يزال منتصبا في مدينة فالزروده الألمانية.

ويذهب الفنان المصري في منحوتاته الجديدة إلى تصوير العلاقة بين الإنسان والصخرة التي يتجاوزها معها في حالات وهيئات مختلفة في سياق التجديد والتطوير لإرث الحضارة المصرية القديمة في التجسيد، رغم صعوبة التعامل مع الخامة في تصنيعها وتطويعها عبر الحرارة.

ويضيف "تكمن الصعوبة أيضا في أننا كمصريين لدينا علاقة قوية بتاريخنا القديم وذاكرتنا العظيمة والإنجازات التي حقّقها المصري القديم في تعبيرات رمزية للأسطورة الإغريقية التي عاقب زيوس فيها سيزيف بأن يحمل صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه، فإذا وصل إلى القمة تدحرجت إلى الوادي، فيعود إلى رفعها إلى القمة من جديد، ويظل هكذا إلى الأبد، لتصبح رمز العذاب الأبدي.

وضمن هذه الفضاءات، يطرح عبلة تساؤلاته عن وجود الإنسان من خلال تقديمه في شكل من الحوار بينه وبين الصخرة في فضاء درامي مركزه الحركة دون الانتباه إلى ملامح العنصر البشري في محاولة للتركيز عليه كجزء من الكون والوجود في إطار تفاعلاته معهما.

وفي أعمال أخرى دائرية هي أقرب إلى فوانيس كهربائية مقعّرة على شكل الكرة الأرضية، كوكبنا الأزرق الحامل لآلامنا وآمالنا، تتلاحم الأجساد البشرية مشكّلة بترابطها الحميمي نوعا من الطوق الذي ينجينا وينجيها، أي الأرض، من أي حادث خارجي طارئ يتهدّدها ويتهدّدنا.

وتضفي الإضاءة على الفوانيس بعدا فلسفيا إلى جانب أبعاده الجمالية المتصلة بفن النحت من زاوية نظر عبلة الخاصة، فتنعكس الظلال المشعّة من الصباح الكهربائي على جدار الغرفة أو المكتب أو المتحف الحاضن للعمل/ التحفة، لتغدو لعبة الظلال وتعدّدها منحوتات أخرى إضافية خارجة من أيقوناته المفاهيمية يراها المُشاهد دون أن يتلمّسها فعليا، فيهيم بها وفيها ومع ما تمنحه إياها دلالاتها الرمزية المتحوّلة متى غيّر زوايا النظر إليها. فالفوق ليس شبيها بالتحت، ولا اليمين كما هو اليسار، حتما. وربما تكون هذه المصابيح/ المنحوتات هي ما ميّزت تجربة عبلة النحتية الجديدة عن معرضيه السابقين، وهو الذي يقول "هو تحدّ جديد أراني قادر عليه بالتراكم، حاولت هنا أن أبسّط فن النحت ليكون شبيها بأعمالي في فن التصوير"، مشيرا إلى أن تجربته مع فن النحت مستمرة في المرحلة المقبلة.

وولد محمد عبلة في المنصورة بمحافظة الدقهلية عام 1953، وهناك أمضى طفولته وأنهى المدرسة لينتقل بعدها إلى الإسكندرية عام 1977 لبدء الدراسة الفنية لمدة خمس سنوات في كلية الفنون الجميلة.

رحلته الفنية بدأت بمعرضه الفردي الأول في المركز الثقافي الإسباني، انطلق بعدها في رحلة إلى أوروبا استمرت سبع سنوات، زار متاحف إسبانيا وفرنسا وبلجيكا وألمانيا، وهناك عرض معرضه الفردي الأول في شمال ألمانيا في غاليري هومان، وبعد عامين انتقل إلى فيينا لدراسة الرسومات وعرضها في معرض المعهد العربي الأميركي.

وبعد عام، استمر في زيوريخ لدراسة الرسم والنحت، ليعود إلى مصر ليجري العديد من المعارض الفردية والجماعية في أتيليه القاهرة، وغاليري المشربية، وغاليري شيبا، وغاليري الزمالك للفنون وغاليري برلين للفن.

وفي العام 2007 أسّس مركز الفيوم للفنون، حيث يلتقي الفنانون للعمل والتعاون، وفي عام 2009 أسّس أول متحف للكاريكاتير في الشرق الأوسط.

وحظي عبلة بتقدير دولي، وقام بتدريس الفنون في السويد والنمسا وفي الجامعة الأميركية في القاهرة، وهو الذي عاش لسنوات بين مصر وسويسرا وألمانيا إلى أن عاد إلى وطنه في العام 1985 ليستقر بشكل نهائي بين القاهرة والفيوم.

الجمالي والتجاري يجتمعان في كرات ضوئية

محمد عبلة

أحاول تبسيط فن النحت ليكون شبيها بأعمالي في فن الرسم